أم كلثوم

قيثارة السماء

صوتها هو الشئ الوحيد الذى نجح فى جمع شمل العرب حوله فاستطاعت أن توحد الأمة من المحيط إلى الخليج.

حينما غنت "أقبل الليل" كان ليلا طويلا قد خيم على سماء الأمة بعد هزيمة ١٩٦٧، وعندما غنت "راجعين بقوة السلاح" كانت تعبر عن روح الإصرار والتحدى.

أثرت السينما المصرية بستة أفلام حققت نجاحاً كبيراً وبدأ العصر الذهبى لأستوديو مصر بفيلمها "وداد" الذى شارك فى مهرجان البندقية السينمائى.

يمثل صوت "أم كلثوم" ظاهرة فنية معجزة، فصوتها قوى دقيق العضلات عذب النبرات ذو مساحة كبيرة، مما جعلها قادرة على أداء الجمل الغنائية الصعبة المملؤة بالزخارف بيسر وسهولة، فعندما تغلق عينيك وتسترجع صوت الحب بداخلك، ستسمع صدى أغنيات "أم كلثوم" فهى لم ولن تكون مجرد مطربة شدت بأعذب الألحان، بل ساهمت

obeikandl.com

بإيجابية فى تشكيل وجدان ملايين العرب على مدى نصف قرت، أيضا تجاوزت الدور التقليدى والمألوف للمطرب.

المولد والنشأة

ولدت فاطمة إبراهيم البلتاجي، والتى اشتهرت فيما بعد باسم "أم كلثوم" فى قرية "طماى الزهيرة" التابعة لمركز السنبلاوين، بمحافظة الدقهلية فى ٤ مايو ١٩٠٤، وإن اختلف المؤرخون حول هذا التاريخ، فمنهم من رأى أنها ولدت فى ٢٠ ديسمبر ١٨٩٩، ومنهم من رأى أنها ولدت فى ٣٠ديسمبر ١٩٠٠، لكن التاريخ الأول هو الأرجح، ولدت فى أسرة متواضعة، فوالدها الشيخ "إبراهيم البلتاجي" مؤذن ومرتل القرآن بمسجد القرية، ومنشد القصائد الدينية والسيرة المحمدية فى أفراح القرية والقرى المجاورة، يصطحب معه ابنه الشيخ "أحمد" للإنشاد الدينى حتى يمكن أن يوفر للأسرة العيش الكريم.

ألحقها أبوها بكتاب "الشيخ عبد العزيز" بالقرية فى عام ١٩٠٨، وقد حفظت القرآن الكريم وجودته، وأنشدت القصائد الدينية والسيرة النبوية بمصاحبة والدها وأخيها فى الموالد والأفراح، وطارت أخبار الطفلة التى ترتدى العقال وملابس الصبيان، وتمتلك صوتاً رائعاً، وبدأ أثرياء الدلتا يطلبونها لإحياء حفلاتهم، وفى إحدى الحفلات فى منزل توفيق بك زاهر، التقت "أم كلثوم" بالشيخ أبو العلا محمد الذى كانت

تحب سماع صوته، وتتلمذت على يديه، وغنت له القصائد العاطفية، وتعلمت عزف العود على يد بعض العازفين.

وقد أعجب الشيخ أبو العلا محمد بصوت "أم كلثوم" ووجد فيها موهبة كبيرة، فطلب من والدها أن يسافر بها إلى القاهرة حيث الأضواء والشهرة قائلا له: إن ابنتك سوف يكون لها مستقبل باهر فى الغناء.

الانتقال إلى القاهرة

وصلت "أم كلثوم" إلى القاهرة عام ١٩٢٢، ونزلت مع والدها فى فندق متواضع ببولاق فى شارع السلطان أبو العلا، وكان يسكن بالفندق أحد ظرفاء العصر "محمد البابلي" الذى أعجب بصوت أم كلثوم إعجاباً كبيراً.

ظلت "أم كلثوم" تغنى على مسرح "البوسفور" المعروف فى ميدان باب الحديد "رمسيس حاليا" بدون فرقة موسيقية، وغنت على مسرح "حديقة الأزبكية" واشتهرت بقصيدة "وحقك أنت المنى والطلب" من شعر الإمام "عبد الله الشبراوي" وتشاء الظروف أن تعجب أسرتان بموهبة وصوت "أم كلثوم" ويقفان بجانبها، الأسرة الأولي: أسرة "آل عبد الرازق" وكان قصرها فى منطقة "عابدين" وهى أسرة معروفة منها: حسن عبد الرازق وعلى عبد الرازق والشيخ مصطفى عبد الرازق، والأسرة الثانية: أسرة "آل المهدي" ونسبها معروف وقصرها فى باب الخلق.

وتوثقت الصلة بين "أم كلثوم" وأمين المهدى الذى أسهم فى تعليمها أصول الموسيقى، وتعلمت عزف العود على أيدي: أمين المهدي، ومحمود رحمي، محمد القصبجي، ويتقدم الشيخ أبو العلا محمد على الجميع فى بصماته الفنية على أم كلثوم.

لقاؤها برجال الأدب والفكر والسياسة

مضت الحياة سريعة وتعرفت "أم كلثوم" على طلعت حرب ورجال السياسة وزعماء الأحزاب، وتخلت عن العقال والجلابية البلدي، وارتدت فستانا عصريا واستبدلت تختها الفنى بخت عصر يضم أمهر العازفين، واستطاعت فى فترة قصيرة أن تتقدم أشهر المطربات فى عصرها أمثال: منيرة المهدية، وفتحيه أحمد، وأسمهان.

ولم يتخل الشيخ أبو العلا محمد عن "أم كلثوم" لأنه كان مولعا بصوتها، ويرجع له الفضل فى شهرتها، لم يكتف بالتلحين لها بل سمح لها بأداء بعض قصائده الشهيرة مقل: "أفديه إن حفظ الهوى"، و"وحقك أنت المنى والطلب".

وبعد وفاته التقت "أم كلثوم" بالملحن محمد القصبجى الذى رأى فيها القدرة على تأدية ألحانه وأسلوبه فى التلحين، فلحن لها أول أغنية بعنوان "كنت أسامح" عام ١٩٢٤، ثم توالت ألحانه الجميلة فلحن لها العديد والعديد من الألحان منها: الفصل الأول من "أوبرا عايدة" و"رق الحبيب" و"نورك يا ست الكل"، الخ.

وفى نفس الوقت غنت من ألحان "داود حسني" و"زكريا أحمد" الذى كان آخر ألحانه لها لحت "هو صحيح الهوى غلاب".

ومع كل هؤلاء، كان للدكتور أحمد صبرى دور رائد فى رجلة أم كلثوم الغنائية فقد ألف لها ما يقرب من (٣٠لحنا) وفى نفس الوقت تعرفت "أم كلثوم" على الشاعرين الكبيرين، أحمد شوقي، وأحمد رامي، وكذلك الشاعر بيرم التونسى الذى ألف لها أجمل القصائد.

ويعد لقاء رامى بأم كلثوم مرحلة جديدة فى مسيرتها الفنية إذا يعتبر من أكثر الشعراء الذين كتبوا لها أجمل قصائد الحب منذ أن التقى بها عام ١٩٢٤، وحتى رحيل سيدة الغناء العربي، وقد بلغ ما كتبه أكثر من مائة أغنية لحنها رياض السنباطى منها على سبيل المثال: "جددت حبك ليه" و"حيرت قلبى معاك" وهجرتك" و"أنت الحب" و"غلبت أصالح روحي" و"يا مسهرني".

ولحن لها "كمال الطويل" أغنية "لغيرك ما مددت يداً" سنة ١٩٥٥، و"والله زمان يا سلاحي" سنة ١٩٥٦.

أما "محمد الموجي" فقد لحن لها أغنية "أوقدوا الشموع" و"هانت الأقدار" عام ١٩٥٥، و"محلاك يا مصر" سنة ١٩٥٧.

كما لحن لها "بليغ حمدي" أكثر من أغنية مثل "أنساك" و"ألف ليلة وليلة".

وفى ١٢ فبراير عام ١٩٦٤، التقى القطبان الموسيقار محمد عبد الوهاب بالسيدة "أم كلثوم" فى أغنية "أنت عمري" واللافت للنظر أن المقدمة الموسيقية لهذه الأغنية استغرقت ربع ساعة وهى مقدمة طويلة على غير العادة، واستمر "عبد الوهاب" فى التلحين لها بعد ذلك مع العودة إلى التطريب وصياغة الألحان الخفيفة ذات الإيقاعات الراقصة حيث لحن عشر أغنيات على مدى تسع سنوات انتقل بصوتها فى معظمها من الجماهير الخاصة إلى جماهير الشعب عامة على اختلاف مستوياتها وشرائحها.

السينما فى حياتها

أثرت سيدة الغناء العربى "أم كلثوم" السينما المصرية باشتراكها بالتمثيل والغناء فى ستة أفلام حققت نجاحاً كبيراً، بدأ العصر الذهبى بافتتاح أستوديو مصر عام ١٩٣٥ بفيلم تاريخى غنائى بطولة "أم كلثوم" بعنوان "وداد" عرض فى فبراير عام ١٩٣٦، كتب قصته أحمد رامي، وغنت أم كلثوم خمس أغنيات من أشعاره فى هذا الفيلم وأخرجه "أحمد بدر خان" وعرض هذا الفيلم فى مهرجان البندقية عام ١٩٣٦، فكان بذلك **أول فيلم عربى يعرض فى مهرجان سينمائى دولي.**

والفيلم الثاني: "نشيد الأمل" عرض فى يناير عام ١٩٣٧، كتب له الحوار والأغانى الشاعر "أحمد رامي"،

وغنت به "أم كلثوم" سبع أغنيات لرامي، وأخرجه المخرج "أحمد بدر خان".

والفيلم الثالث: "دنانير" عرض فى سبتمبر ١٩٤٠.

أما الفيلم الرابع: "عايدة" وعرض فى ديسمبر عام ١٩٤٢.

والفيلم الخامس: "سلامة" وعرض فى أبريل عام ١٩٤٥، وكتب أغانيه الشاعر بيرم التونسى وأخر أفلامها هو فيلم "فاطمة" من إخراج "بدرخان" عرض عام ١٩٤٧.

نقيبة الموسيقيين

رشحت "أم كلثوم" نفسها لأول مرة نقيبة للمهن الموسيقية عام ١٩٤٤ ونالت الثقة واستمرت فى هذا المنصب نقيبة لمدة ٧ دورات متتالية.

ألقاب وأسماء

لم تحظ فنانة أو فنان فى مصر أو فى العالم العربى بمثل الحفاوة والاستقبال ومظاهر التكريم الذى حظت به سيدة الغناء العربى "أم كلثوم" فمنذ أن ظهرت على ساحة الغناء فى مصر انهالت عليها الألقاب منها: "كروانة مصر" و"أميرة الإرشاد والغنا" و"أميرة الطرب" و"ملكة الغناء" و"البلبلة" و"ساحرة الشرق" و"سيدة المغنيات" و"فخر الموسيقى والغناء".

أما أشهر الألقاب التى التصقن بها فكان "كوكب الشرق" و"سيدة الغناء العربي".

جوائز وأوسمة

نالت كوكب الشرق "أم كلثوم" جوائز وأوسمة لا تحصي، كما يقول: "محمد صادق" فى موسوعة "الصفوة" منها على سبيل المثال: "قلادة النيل" عام ١٩٤٦، و"وسام أردني" عام ١٩٥٥، و"وسام الأرز" اللبنانى عام ١٩٥٨، و"وسام نجمة الأغنيات من باكستان.

كما كرمها الرئيس "جمال عبد الناصر" ومنحها "وسام الاستحقاق" من الدرجة الأولى عام ١٩٦٠، ثم "قلادة الجمهورية" عام ١٩٦٥، ثم "وسام الكسارة الفكرية المغربي" وأهداه لها الملك الحسن عام ١٩٦٦، ثم "جائزة الدولة التقديرية" فى الفنون عام ١٩٩٨، وتبرعت بقيمتها المالية مصالح المجهود الحربي، ثم "جواز سفر دبلوماسى من مصر" عام ١٩٦٨، وأخيرا "لقب فنانة الشعب" بصفة رسمية عام ١٩٧٢. وتعد أم كلثوم ابنة الريف المصري، والتى فارقت الحياة فى ٣ فبراير عام ١٩٧٥، المثل الأعلى للمرأة العربية العريقة فى فنها ومظهرها ووقارها، فقد كانت، ومازالت أستاذة الجيل من الفنانات والفنانين حيث جسدت بالكلمة والألحان التى تغنت بها أصالة وتطور المجتمع المصرى فى العصر الحديث.